

تفسير البحر المحيط

. @ 237 @

قال : وتقول مررت برجل سواك وسواك وسواك أي غيرك ، ويكون للجميع وأعلى هذه اللغات الكسر قاله النحاس . وقالت فرقة : معنى { مَكَانًا سُوءًا } مستوياً من الأرض أي لا وعر فيه ، ولا جبل ، ولا أكمة ، ولا مطمئن من الأرض بحيث يسير ناظر أحد فلا يرى مكان موسى والسحرة وما يصدر عنهما ، قال ذلك واثقاً من غلبة السحرة لموسى فإذا شاهدوا غلبهم إياه رجعوا عما كانوا اعتقدوا فيه . وقالت فرقة : معناه مكاناً سوى : مكاننا هذا وليس بشيء لأن سوى إذا كانت بمعنى غير لا تستعمل إلا مضافة لفظاً ولا تقطع عن الإضافة . .

وقرأ الحسن والأعمش وعاصم في رواية وأبو حيوه وابن أبي عبله وقتادة والجحدري وهبيرة والزعفراني يوم الزينة بنصب الميم وتقدم تخريج هذه القراءة في كلام الزمخشري وروي أن { يَوْمُ الزَّيْنَةِ } كان عيداً لهم ويوماً مشهوداً وصادف يوم عاشوراء ، وكان يوم سبت . وقيل : هو يوم كسر الخليج الباقي إلى اليوم . وقيل : يوم النيروز وكان رأس سنتهم . وقيل : يوم السبت فإنه يوم راحة ودعة . وقيل : يوم سوق لهم . وقيل : يوم عاشوراء . .

وقرأ ابن مسعود والجحدري وأبو عمران الجوني وأبو نهيك وعمرو بن فايد وأن تحشر بتاء الخطاب أي يا فرعون وروي عنهم بالياء على الغيبة ، والناس نصب في كلتا القراءتين . قالصاحب اللوامح { وَأَنَّ يُحْشَرَ } الحاشر { الذَّاسُ ضُحَّى } فحذف الفاعل للعلم به انتهى . وحذف الفاعل في مثل هذا لا يجوز عند البصريين . وقال غيره { وَأَنَّ يُحْشَرَ } القوم قال ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة ، إما على العادة التي تخاطب بها الملوك أو خاطب القوم لقوله { مَوْعِدُكُمْ } وجعل { يُحْشَرُ } لفرعون ويجوز أن يكون { وَأَنَّ يُحْشَرَ } في موضع رفع عطفاً على { يَوْمُ الزَّيْنَةِ } وأن يكون في موضع جر عطفاً على { الزَّيْنَةِ } وانتصب { ضُحَّى } على الظرف وهو ارتفاع النهار ، ويؤنث ويذكر والضياء بفتح الضاد ممدود مذكر وهو عند ارتباع النهار الأعلى ، وإنما واعدهم موسى ذلك اليوم ليكون علو كلمة □ وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد ، وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ، ويكل حد المبطلين وأشياءهم ويكثر المحدث بذلك الأمر العلم في كل بدو وحضر ، ويشيع في جميع أهل الوبر والمدر . والظاهر أن قوله { قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ } من كلام موسى عليه السلام لأنه جواب لقول فرعون { فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا } ولأن تعيين اليوم إنما يليق بالمحق الذي يعرف اليد له لا المبطل الذي يعرف أنه ليس معه إلا التلبيس . ولقوله { مَوْعِدُكُمْ }

{ وهو خطاب للجميع ، وأبعد من ذهب إلى أنه من كلام فرعون . . }
{ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ } أي معرضاً عن قبول الحق أو { تَوَلَّى } ذلك الأمر بنفسه أو
فرجع إلى أهله لاستعداد مكائده ، أو أدبر على عادة المتواعدين أن يولي كل واحد منهما
صاحبه ظهره إذا افترقا . أقوال { فَجَمَعَ كَيْدَهُ } أي ذوي كيده وهم السحرة . وكانوا
عصابة لم يخلق [] أسحر منها { ثُمَّ أَتَى } للموعد الذي كانوا تواعدوه . وأتى موسى
أيضاً بمن معه من بني إسرائيل قال لهم موسى { وَيَلَاكُمُ اللَّاتِفُونَ } تَفْتَرُونَ عِلَالَةً
كَذِبًا { وتقدم تفسير ويل في سورة البقرة ، خاطبتهم خطاب محذر وندبهم إلى قول الحق إذ
رأوه وأن لا يباهتوا بكذب . وعن وهب لما قال للسحرة { وَيَلَاكُمُ } قالوا ما هذا بقول
ساحر { فَيُسْحِتْكُمْ } يهلككم ويستأصلكم ، وفيه دلالة على عظم الافتراء وأنه يترتب عليه
هلاك الاستئصال ، ثم ذكر أنه لا يظفر بالبغيه ولا ينجح طلبه { مَنِ افْتَرَى } على []
الكذب . .

ولما سمع السحرة منه هذه المقالة هالهم ذلك ووقعت في نفوسهم مهابته { فَتَنَزَّاهُ }
أَمْرَهُمْ { أي تجاذبوه والتنازع يقتضي الاختلاف . وقرأ حمزة والكسائي وحفص والأعمش
وطلحة وابن جرير { فَيُسْحِتْكُمْ } بضم الياء وكسر الحاء من أسحت رباعياً . وقرأ باقي
السبعة ورويس وابن عباي بفتحهما من سحت ثلاثياً . وإسراهم النجوى خيفة من فرعون أن
يتبين فيهم ضعفاً لأنهم لم يكونوا مصممين على غلبة موسى بل كان طناً من بعضهم . وعن ابن
عباس أن نجواهم إن غلبنا موسى اتبعناه ، وعن قتادة إن كان ساحراً فسنغلبه ، وإن كان من
السماء فله أمر . .

وقال الزمخشري : والظاهر أنهم تشاوروا في السر وتجادبوا أهداب